Intellectual and Historical Origins of the Qualitative interview in Social Research

Dr. Abir ahmad*

(Received 11 / 6 / 2023. Accepted 9 / 8 / 2023)

□ ABSTRACT □

The research interview is one of the techniques and tools of information gathering that was subject of large discussions and debates among social researchers. The debates revolve around the feasibility and effectiveness of this technique, with questioning to its objectivity in collecting information from the field. In fact, the domination of quantitative methods with their statistical tools and the use of numbers led to a decline in using research interview in general, and quantitative interviews in particular, in the Arabic studies and researches.

Our goal in this research is mainly to clarify and introduce the intellectual roots of qualitative interview, and represent to the reader its long history in social research since the beginnings, in order to clarify the reality that it is not an intruder tool in social sciences. We also aim to clarify the concept of quantitative interview, distinguish the variety of types that it contains, and focus on the two common characters in all types of qualitative interviews: trust building and social distance.

Key words: Social Research, Qualitative interview

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.** abir-s@hotmail.com

الأصول الفكرية والتاريخية للمقابلة الكيفيّة في البحث الاجتماعي

د. عبير أحمد*

(تاريخ الإيداع 11 / 6 / 2023. قبل للنشر في 9 / 8 / 2023)

ملخّص

تُعتبر المقابلة البحثية من أكثر تقنيات وأدوات جمع المعلومات التي حصل حولها نقاش وجدل كبيرين من قبل الباحثين الاجتماعين. تمثل هذا الجدل حول جدوى وفاعلية هذه التقنية بالإضافة إلى التشكيك في موضوعيتها. في جمع المعلومات من الميدان. سيطرت المنهج الكمي بأساليبه الإحصائية وإظهار الأرقام أدى إلى تراجع المقابلة البحثية وبشكل خاص المقابلة الكيفية في الدّراسات والأبحاث العربية.

هدفنا في هذا البحث بشكل أساسي إلى توضيح وعرض الجذور الفكرية للمقابلة الكيفية في البحث الاجتماعي، وإظهار تاريخها الطويل في البحث الاجتماعي منذ البدايات، وبأنّها ليست أداة دخيلة على البحث الاجتماعي؛ كما هدفنا أيضاً، إلى توضيح مفهوم المقابلة الكيفية والتمييز بين مختلف أنواعها الكثيرة، والتركيز على أهم ميزتين مشتركتين بين مختلف أنواع المقابلة الكيفية هما بناء الثقة والمسافة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: البحث الاجتماعي، المقابلة الكيفيّة

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* مُدرّسة – علم اجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية. abir-s@hotmail.com

مقدمة:

يُعتبر البحث الاجتماعي عملية غاية التعقيد، تختلف طريقة تنفيذ وإجراء البحث وتحقيق أهدافه وكذلك اختبار فرضياته اختلافاً كلياً من بحث إلى آخر ومن ظاهرة إلى أخرى. يعود هذا التنوع إلى اختلاف أو إلى وجود منهجين أساسيين متبعين في الأبحاث والدّراسات الاجتماعية هما المنهج الكمي والمنهج الكيفي والذي على اساسهما يتم التميز بين البحث الاجتماعي الكمي والبحث الاجتماعي الكيفي. في حقيقية الأمر، شكل المنهج الكمّيّ والمنهج الكيفي نقطة جدل واضحة في تاريخ علم الاجتماع الحديث. تعوّد الجذور التّاريخية لهذا الاختلاف الابتستمولوجي إلى القرن التّاسع عشر، وعلى وجه التّحديد مع ظهور التّعارض بين أفكار وليم ديلثي "W. Dilthey1833-1921" ووضعية كلٌّ من أوغست كونت " A. Comt 1798-1857" وجون ستيورات مل "J.M.Sturat 1806-1873". ديلثي الذي رأى بأن للظّواهر الاجتماعيّة، خصوصيّة لا يمكن تجاهلها، وبأنّه يجب فهم الأحداث الاجتماعيّة بعيداً عن التّفسيرات المستندة إلى المنهج التّجريبي في العلوم الطّبيعية التي أولاها كل من كونت ومل الأهمّيّة العظمى في دراسة الظّواهر الاجتماعيّة.

أسس ديلثي منهج الفهم "méthode de compréhensive" الذي طوره فيما بعد ماكس فيبرMax. Wiber (1864-1920). يرتكز هذا المنهج في جوهره على فهم معنى الفعل الاجتماعي من منظور الفاعلين الاجتماعين (les acteurs sociaux) الذي يتعارض مع الوضعية ومنهجها التّجريبي بإخضاع الظّواهر الاجتماعيّة للتجربة أسوة بالمنهج التّجريبي المطبق في العلوم الطّبيعة. المُلفت للنّظر، أنّ هذا الجدل لم ينتهِ بل ما نزال نلاحظه في أعمال الكثير من الباحثين الاجتماعين، وخاصّة عندما يتم تناول أدوات جمع البيانات وطريقة تحليلها، نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ديسمارز وبيلون "Desmarise &Pilon1996"، بيرتو "Bertaux 2005"، كوفمان " Kaufman 2006". وصل الأمر إلى إثبات علميّة وصلاحيّة أدوات كلّ منهج، وكان للمقابلة الكيفيّة النصيب الأكبر في ذلك الجدال مقابل كل من الاستمارة والمقابلة الكمّيّة (J. Poupart, 1993).

شكلت المقابلة منذ بدايات استخدامها في علم الاجتماع إشكالية ونقطة خلاف بين مؤيد لهذه التقنية الجديدة وبين مشكك بجدواها ورافض لها. سنحاول في بحثنا هذا الإجابة على التساؤل الآتي: لماذا واجهت المقابلة وعلى وجه الخصوص المقابلة الكيفية كل هذا الجدل؟ هل يعود ذلك على اعتبارها أداة أو تقنية دخيلة على البحث الاجتماعي أم ماذا؟ وذلك من خلال الوقوف على نقطتين: الأولى، تتبع مراحل استخدام المقابلة كأداة لجمع البيانات في البحوث الاجتماعية، والثانية تتعلق بمفهوم وخصائص المقابلة الكيفية.

أهمية البحث وأهدافه:

في ظل سيطرة البراهين والأدلة الإحصائية وانتشار البرامج الإحصائية المعالجة للبيانات المُستخرجة بواسطة الاستمارة سيطرة المنهج الكمي، وتم الاعتماد بشكل رئيسي على الاستمارة كأداة شبه وحيدة لجمع البيانات، مما أدى إلى تراجع لاستخدام الأدوات الأخرى ولا سيما المقابلة إلى حد غابت فيه عن الأبحاث ولا سيما الأبحاث الجامعية. بالإضافة إلى ذلك إن مراجعة بسيطة للأدبيات الاجتماعيّة العربية نجد اقتصار معظم المراجع المتعلقة بالبحث الاجتماعي وأدواته إلى تعريف المقابلة وذكر ثلاث أنواع المقابلات هي المقننة، الحرة والنصف مقننة دون الخوص في خصائصها أو شروط وآلية تطبيقها. نسعى بذلك في هذا البحث إلى تعريف القارئ بالأصول التاريخية والفكرية للمقابلة، وكذلك

التعريف بأهميتها ومكانتها في علم الاجتماع من خلال التطرق لخصائص المقابلة الكيفيّة وبشكل خاص التفاعل الاجتماعي القائم بين الباحث والمبحوث.

منهجية البحث:

نعتمد في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل تاريخ ظهور المقابلة، بالإضافة إلى المنهج التاريخي إذ سوف نتقصى في هذا البحث البدايات الأولى للمقابلة ومراحل تطورها واعتمادها كأداة أساسية من أدوات جمع البيانات في البحوث الاجتماعيّة؛ بالإضافة

أولاً: المقابلة الكيفيّة: المفهوم والخصائص

إنّ الخوض في موضوع المقابلة البحثية وعلى وجه الخصوص المقابلة الكيفيّة، يعتبر من المهام الشائكة والشاقة، وذلك لندرة ولقلة في الكتابات العربية التي تناولت موضوع المقابلة البحثية من جهة؛ ومن جهة أخرى، لكثرة ولوفرة الكتابات الأجنبية سواء الفرنكوفونية أو الأنكلوفونيا. ففي عام 2008 كان هناك أكثر من 250 مادة عليمة تناولت المقابلة البحثية سواء باللغة الفرنسية أو الإنكليزية (Guillemette, 2008). أيضاً من الأمور التي تجعل من موضوع المقابلة البحثية موضوعاً شائكاً هو كثرة وتنوع المقابلة الكيفيّة وتشعبها، الأمر الذي يؤدي إلى تداخل وتشابه بعض التسميات في بعض الأحيان، وصعوبة الفصل بين حدود كل نوع. فعلى سبيل المثال لدينا المقابلة غير المباشرة «non directif» والتي يقابلها المقابلة الحرة «l'entretien libre».؛ وكذلك المقابلة نصف الموجهة «l'entretien semi-dirigé» والتي نجد لها مقابل أو تسمية أخرى المقابلة نصف المباشرة «l'entretien semi-directif»؛ من الأنواع الأخرى للمقابلة لدينا المقابلة المعمقة «l'entretien en profondeur»؛ المقابلة الفهمية «l'entretien compréhensif»؛ ومقابلة سير الحياة «l'entretien du récite de vie»؛ المقابلة التفسيرية «l'entretien d'explicitation»؛ المقابلة الفردية « l'entretien individuel » ؛ المقابلة الشخصية « l'entretien bibliographie ». إنّ هذا الغنى والتنوع في المقابلة الكيفيّة نجد انعكاسه على موضوع تحديد وتعريف المقابلة الكيفيّة إذ تواجهنا الكثير من التعريفات التي تتشابه وتختلف في بعض التفصيلات. ولكن بصورة عامة يمكن أن نعرف المقابلة الكيفيّة بأنّها أداة لجمع البيانات وذلك من خلال التفاعل بين الباحث والمبحوث، يكون للمبحوث فيها مساحة من الحرية في الكلام، بهدف تبادل الخبرة والمعرفة حول موضوع أو ظاهرة محددة، يحصل بالنتيجة الباحث على بيانات نصية. بناءً على ذلك تُستثنى المقابلات المقننة من المقابلات الكيفيّة التي تأخذ شكل الأسئلة المنتظمة والأجوبة المحددة، التي يمكن تحويلها إلى أرقام واستخدام العلميات الإحصائية. (Boutin, 2006; Mucchielli, 2009). في حين يرى فان دير ماران بأنّ الهدف من المقابلة بغض النظر عن نوعها، هو جمع البيانات المعلقة بالإطار المرجعي للمبحوث والمقصود هنا عواطف وأحكام وتصورات وتقديرات وخبرات المبحوث حول موضوع معين. فهنا يتم التركيز على الخبرة والتجربة الإنسانية التي يحاول الباحث والمبحوث المحافظة على تعقيداتها (Van der Maren, 1995).

منهجياً، يرتبط هذا التنوع والاختلاف في أنواع المقابلة الكيفية بالإشكالية التي يطرحها الباحث وكذلك بالأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من بحثه، بالإضافة لطبيعة ولنوع المعلومات التي يرغب في الحصول عليها والتي لها صلة بموضوع الدّراسة. الأمر الذي يُفضي إلى إجراءات منهجية خاصة بكل نوع من أنواع المقابلة الكيفيّة. هنا يمكننا أن نُشير إلى أهم نقاط الاختلاف في تلك الإجراءات تتمثل في إنشاء دليل المقابلة grille d'entretien الذي يتضمن الأسئلة التي سيقوم الباحث بطرحها على المبحوث، وفي وضع دليل تحليل المقابلة grille d'analyse l'entretien. بالنتيجة يمكننا القول بأنّ كل نوع من المقابلات الكيفيّة يتمتع بخصائص إجرائية معينة تختلف بعض الشيء تبعاً لنوع

المقابلة المتبع في البحث. ولكن، مهما اختلفت الإجراءات المنهجية فإنّ ما يخص ويميز المقابلة الكيفيّة كأداة لجميع البيانات في البحوث الاجتماعيّة، هو التفاعل القائم بين الباحث والمبحوث؛ والذي يُعتبر الخاصية والإجراء المنهجي المشترك بين كافة أنواع المقابلات الكيفيّة. إن التفاعل الحاصل بين الباحث والمبحوث في المقابلة الكيفيّة يكسب المقابلة وضعاً خاصاً ومختلفاً عن باقي أدوات جمع البيانات في البحوث الاجتماعيّة. لا يقوم هذا التفاعل على علاقة ثنائية بسيطة متمثلة في طرح سؤال من قبل الباحث والحصول على معلومات من المبحوث، إنما هو وفق تعبير موسكوفيتشي ينم ويكشف عن علاقة معقدة تحتوي ثلاثة أقطاب: الباحث، المبحوث وتأثير تفاعلهما على موضوع المقابلة المطروح (Moscovici, 1961)، كما أن بورديو يرى أن تحليل ديناميكية تلك العلاقة تكشف قبل كل شيء عن الخلفية الاجتماعيّة لكل من الباحث والمبحوث (Hass ; Masson, 2006). إنّ أهم ركيزتين للتفاعل الاجتماعي بين الباحث والمبحوث هما بناء الثقة، والمسافة الاجتماعيّة.

تعد لحظة اتصال الباحث بالمبحوث لتحديد موعد للمقابلة، لحظة مهمة واستراتيجية في بناء الثقة. إذ يراها الكثيرون بمثابة اقتحام وتطفل على حياة المبحوث، لذلك يجب على الباحث أن يبدأ بكسب ثقة المبحوث الأمر الذي يُعد شرطاً لحصول الباحث على مقابلة جيدة وحثه على التكلم. يرى كونين- هوثر Coenon-Huther, 2001 أنّه يتوجب على الباحث أخذ هذه الخطوة بشكل منهجي وحتمي وحقيقي وعدم التقليل من أهميتها، إذ تعتبر هذه اللحظة لحظة التعاقد الضمنية بين الباحث والمبحوث وفق كل من بلانشيه وجوتمان (Blanchet ; Gotman, 1992)، في حين تعتبر اللحظة التي يتم فيها بناء الثقة على حد تعبير دوبيار (Dubar, 1990).

فيما يخص المسافة الاجتماعيّة، في أغلب الأحيان يشغل كل من الباحث والمبحوث مكانة اجتماعية مختلفة عن الأخر تبعاً للوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه. إن المكانة الاجتماعيّة التي يحتفظ بها كلهما (الباحث والمبحوث) تكون في أغلب الأحيان لصالح الباحث وتعطيه المكانة العليا والمسيطرة اجتماعياً وعلمياً (Cohen, 1999)، كما تُشكل عنفاً رمزياً وفق تعبير بورديو. هذا الاختلاف بالوضع والمكانة الاجتماعيّة يُسمى بالمسافة الاجتماعيّة «La distance social». يعتبر الجنس والعمر بالإضافة للطبقة الاجتماعيّة من أهم العوامل والمتغيرات التي تساهم في تحديد المسافة الاجتماعيّة بين الباحث والمبحوث. (Demazière, 2012).

أنّه من الصّعب بِمكان محو وإزالة المسافة الاجتماعيّة، ولكن من الضّروريِّ محاولة التّغلُّب عليها ومعرفة كيفية التّعامل معها. بمعنى آخر معرفة كيفية وضع المبحوث في نطاق الثقة للحديث عن تجربته أو رأيه حول موضوع معيّن، وكيفية السّماح له بتطوير وجهة نظره، وآلية طرح صيغه ومفاهيمه الخاصّة؛ والأهمّ من ذلك كيفية إقناع المبحوث بأنّ الباحث لا يحكم عليه، وبأنه غير خاضع للتّقييم من قبله. يرى بود أنّ الإجابات على تلك الأسئلة يمكن أن تتقارب بل وقد تتشابه في العديد منها، إلّا أنّ هذه التّساؤلات تّشكّل جوهر المقابلة الكيفيّة التي تهدف إلى إنتاج حوار مُنظّم يعكس تفكير المبحوث، والابتعاد عن لأخطاء المرتكبة في الاستمارة أو المقابلة الموجّهة (المقنّنة) (Beaud, 1996).

بناءً على ذلك، يُعتبر عدم إهمال المسافة الاجتماعيّة من أهمّ شروط ضبط المقابلة، إذ لا يُفضّل اختصار المقابلة إلى التّفاعل بين الباحث والمبحوث من وجهة نظر الباحث فقط، بل يُستحسن ويجب إيلاء اهتمام كبير لردود أفعال المبحوثين النّاتجة عن ذلك التفاعل لما تلعبه المسافة الاجتماعيّة من دور في ذلك، وفي كيفية رؤية وتفسير المبحوثين لطلب المقابلة وللمقابلة بحدِّ ذاتها. إذ أنه وفي حالات كثيرة يُنتج المبحوثين ما يُسمى بالتّفسيرات العكسيّة أو المضادّة «contre-interprétation» ويبنون سلوكهم وفق تلك التّفسيرات، فتأتي الرّدود على إمكانية إجراء المقابلة متراوحة بين: المقاومة، التّردّد، اللّامبالاة، المراوغة.

تكمن الصّعوبة في آليّة ضبط المسافة الاجتماعيّة إلى عدم إمكانية تنبؤ الباحث بالعلاقات المتبادلة وكذلك بالتّفسيرات الانعكاسيّة التي يبنيها المبحوث. لا توجد قواعد سلوكيّة أو منهجية يمكن للباحث اتباعها والتقييد بها من أجل التقليل من آثّار المسافة الاجتماعيّة بينه وبين المبحوث. بالنهاية المقابلة هي عمل استقصائي وليس مجرد اتباع قواعد وسلوكيّات تجعل من المبحوث يتكلم. إذ لا يكفي أن يقدم الباحث نفسه وموضوعه حتى يتم القبول والحصول على المعلومات التي يرغب بها، بل يُفترض على الباحث أن يتعامل مع ردود أفعال المبحوثين وتفسيراتهم المضادة تبعاً لظروف كل مقابلة وكل مبحوث.

ثانياً: المراحل التاريخية لظهور وتطور المقابلة الكيفية في علم الاجتماع

لقد شهد ظهور المقابلة الكيفية في الدّراسات الاجتماعية العديد من المراحل والفترات، التي تميزت تارةً بالتأييد والغزارة في الإنتاج وتارةً أخرى بالانتقادات، كما سوف نعرض من خلال تقسيم تاريخ ظهور المقابلة الكيفية الاجتماعية إلى ثلاث مراحل.

الفترة الأولى: الجدل حول أساسيات وإمكانية تطبيق المقابلة (1920–1930)

تعتبر فترة العشرينيات من القرن الماضي بداية المناقشة والجدل حول إمكانية اعتماد المقابلة الكيفيّة كأداة لجمع البيانات. في بدايته، كان هذا الجدل أقرب ما يكون إلى المناقشات العفوية، إذ غابت عنه المنهجية الواضحة والمنظمة، في هذه الفترة كانت أعمال مدرسة شيكاغو (L'école de Chicago) هي المُسيطرة.

تمثل الاستخدام الأول للمقابلة الكيفيّة في جمع المعلومات عن تاريخ حياة المبحوث (l'histoire de vie)، بعد ذلك وبتأثير علماء الأنثروبولوجيا، ومدرسة شيكاغو الأولى. ونذكر هنا على وجه الخصوص تأثّير بارك (Park, 1921) الذي استخدام المقابلة كوسيلة لجمع البيانات التي تتمحور حول سؤال المبحوثين عن ظروف معيشتهم. بالإضافة للملاحظة بالمشاركة كأداة أساسية في البحث. هذا الأمر نتج عنه المقابلة الرسمية والمقابلة غير الرسمية.

في مطلع الثلاثينيات، أصبح الجدل حول المقابلة الكيفيّة والكمية أكثر وضوحاً، لم يكن هذا الجدل يحمل صفة التعارض بين النمطين، أو على الأقل لم يكن واضحاً بالشكل الذي كان عليه في أعمال مدرسة شيكاغو وأعمال كل من سوفتير وبلومير المنادين بالفصل بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي. إذ تحول النقاش وأصبح حول مزايا وعيوب كل منهج أو بالأحرى كل مقابلة، كما هو واضح في أعمال كل ديكسون وروتيسبريج Roethisberge & Dickson[1] حول مزايا المقابلة المقننة والمقابلة غير الموجهة (non-directif). أعمال الأخيرن، طبعت بالطابع المنهجي والمنظم، حيث قارنا بين المنهج التّجريبي والمقابلات الكيفيّة، وكذلك الملاحظة بالمشاركة والمقابلة، من أجل تحديد عيوب ومزايا كل منهج أو أداة على حدا. في بداية الأمر، قارنا المنهج التّجريبي والمنهج الاثنوغرافي، كان استخدامهما للمنهج التّجريبي من أجل قياس المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على إنتاجية العمل. وخلصا إلى أن هذا المنهج لا يمكن تطبيقه على هكذا نوع من الدراسات فقد أظهر عيوب تتلخص في تغيير طبيعة الظروف، وكذلك طبيعة العلاقات والتفاعلات ضمن المخبر، لدرجة أن البحث انحرف عن هدفه وأخذ منحى الاهتمام بتحليل الآثار الناجمة عن ظروف التجربة والمخبر أكثر من تحليل الظروف الطبيعة الواجب دراستها وقياس أثرها على الإنتاجية. كما خلص البحث إلى أن الملاحظة كانت أكثر فاعلية في تحليل تلك الظروف وبالتالي الحصول على نتائج أفضل. كما أنهما خلصا من خلال مقارنة المقابلة والملاحظة المباشرة، إلى أن الملاحظة أفضل من المقابلة لكونها تسمح بملاحظة ومعايشة الأمور

[1] **انظر بلانشيه 1985، يتضمن عمله هذا عرض كافٍ لأعمال كل من ديكسون وروتيسبريج**

الحياتية اليومية والسلوكية، في حين أن المقابلة تسمح بتحديد وفهم أدق لوجهة نظر العمال تجاه الظروف التي تُساعد على زيادة الإنتاجية، بالإضافة إلى أنها قد تسمح بالكشف عن بعض الجوانب الخافية على الباحث. لقد هدفا إلى توضيح لماذا قاما باستخدام المقابلة الكيفيّة على حساب المقابلة المقننة في دراستهم حول تصور العمال للعوامل التي تحث على الإنتاجية، وإثبات إمكانية تطبيق واعتماد المقابلة الكيفيّة في البحوث الاجتماعيّة؛ ولم يهدفان إلى تناول أنواع المقابلة (المقننة، غير المقننة)، حيث لم يكن هناك أفضلية لنوع على آخر. بل كان الهدف توضيح لماذا قاما باستخدام المقابلة الكيفيّة على حساب المقابلة المقننة في دراستهم حول تصور العمال للعوامل التي تحث على الإنتاجية، وإثبات إمكانية تطبيق واعتماد المقابلة الكيفيّة في البحوث الاجتماعيّة.

في هذه الفترة تمكن مؤيدو المنهج الكيفي من تثبيت المقابلة الكيفيّة كأداة لجمع البيانات وعرفت في أواخر عام 1929 بالمدخل غير المباشر أو ما سوف يعرف فيما بعد بالمقابلة غير المباشرة، كما أنّهم وضوعوا الخطوات الأولى لهذا المدخل بأنه يتوجب على الباحث ترك المبحوث يتكلم بحرية كاملة وعفوية مطلقة وألا يقاطعه أو يتدخل في مجرى كلامه وحديثه، وفي هذه الأثناء يقوم الباحث بتسجيل بعض النقاط التي يمكن أن تساعده في تذكر الحديث واستخلاص المعلومات الحقيقية. كذلك تم تحديد آلية صيغة السؤال المطروح بحيث يصاغ بطريقة غير مباشرة والابتعاد قدر الإمكان عن السؤال المباشر الذي قد يتضمن الجواب.

هذه القواعد والضوابط الأولية لإجراء المقابلة، تم تعديل بعضها من قبل ديكسون وروتيسبريج ومن هذه التعديلات: على الباحث أن يظهر بمظهر المستمع اللطيف، إمكانية تدخل الباحث فقط ليحث المبحوث على الكلام، أو من أجل إيضاح بعض الأفكار غير الواضحة، أو لتجاهل المبحوث بعض المواضيع الهامة، او من أجل إرجاع المبحوث إلى صلب الموضوع. كما أن عليه ألا يظهر بمظهر المسيطر والمتحكم بمجريات المقابلة، على الباحث أن يبتعد عن إعطاء النصائح أو تقديم تقييم أخلاقي لما يقوله المبحوث.

كما أنهما أوضحا ووضعا مجموعة من الأليات من أجل التميز بين المقابلة أو الحوار العادي وبين المقابلة العلمية الاجتماعيّة، ومنها نذكر ما يأتي: أولاً يجب أن يكون حوار الباحث مركز وذو تفكير مركز حول عناصر وموضوعات محددة بهدف الوصول إلى معلومات وإمكانية تحليلها.

الفترة الثانية: مكانة جديدة للمقابلة في علم الاجتماع (1940–1960)

لم تشهد هذه الفترة الزخم نفسه الذي عرفته المقابلة الكيفيّة في الفترة السابقة سواء في الإنتاج أو في الجدل، بل على العكس شهدت تراجعاً كبيراً. إلا أن أثر مدرسة شيكاغو بقي واضحاً وخاصة فيما يتعلق بالتفاعلية الرمزية «L'interactionnisme symbolique» الذي ظهر علي يد بلومير H. Blumer في أواخر الثلاثينات (1937)، وكذلك في أعمال غوفمان .E Goffman الذي رسخ مصطلح الاثنوميتودولوجي «L'ethnométhodologie». فقد قدم طريقة جديدة في تفسير المجتمع من خلال البيانات المأخوذة من المقابلة الكيفيّة (Cabin, 2009). من أهم الأبحاث والأعمال التي تناولت المقابلة الكيفيّة في هذه الفترة كان مقال هاغز Hugs الذي أفرد فصلاً كاملاً للمقابلة الكيفيّة وآليتها في مجلة العلوم الاجتماعيّة الأمريكية عام 1956، الأمر الذي عزز مكانة المقابلة. أما بالنسبة لبيكر Becker فقد أولى أهمية خاصة للمقابلة وتقنياتها في سياق استخدام الملاحظة بالمشاركة، وبرز ذلك في جملة من أبحاثه كبحثه حول المدرسين عام 1952، وبحثه الذي أجراه حول طلاب الطب في عام 1956.

في تلك المرحلة، اعتبر كتاب ميرتون Merton، وفيسك Fiske وكاندال KAndall، من أهم الكتب التي نُشرت حول المقابلة غير المباشرة، والتي شكلت لاحقاً مرجعاً أساسياُ في علم الاجتماع حول المقابلة الكيفيّة.

كان لتطور علم النفس وأدواته وبشكل خاص المقابلات العلاجية الأثر الكبير على المقابلة الكيفية في علم الاجتماع؛ وعلى وجه الخصوص أعمال روجير عام 1954 C. Roger، التي ركزت على توضيح وتفسير آليّات عمل المقابلة غير المباشرة في ميدان علم النفس. لقد استوحى بعض علماء الاجتماع من أعمال روجير فكرة تأثير طبيعة العلاقة بين الباحث والمبحوث أثناء إجراء المقابلة، فبرزت أبحاث جديدة في هذا الإطار مثل أبحاث هيمان Hyman المنشورة في الفترة الممتدة بين 1951 وعام 1954. عُرف هيمان بغزارة وكثافة إنتاجه في هذا المجال، واعتبر البعض أمثال بلانشيه هذه الغزارة في الإنتاج أنّها محاولة للرّد على الانتشار الواسع للمقابلة في مجال علم النفس. (Blanchet, 1985).

هذا التأثر بالمقابلات العلاجية في علم النفس، ألصق تهمة بأنّ المقابلة الكيفية في علم الاجتماع هي وليدة المقابلة العلاجية في علم النفس، حيث يذكر ميشتوي أنه إلى وقت قريب كانت المقابلة في علم الاجتماع إنما هي حصيلة لما ينتجه علم النفس في مجال المقابلة العلاجية وآليات ضبطها وتطبيقها (Mucchielli, 1972).

الفترة الثالثة: فترة الانتقال من الوضعية إلى بنائية المقابلة (1960–1990)

في هذه الفترة عاد الاهتمام بالمقابلة بشكل كبير وملحوظ. ففي بداية الستينيات عاد اهتمام الباحثين والمختصين بطريقة إجراء المقابلة الكيفيّة بعد أن سيطرت المقابلة الكمية والاستمارة على أدوات جمع البيانات في الفترة السابقة. في بداية السبعينيات زاد الإنتاج والانتشار للمقابلة الكيفيّة في ميدان علم الاجتماع بشكل ملحوظ في الولايات المتحدة كما هو معهود لمدرسة شيكاغو، إلا أن الجديد في الأمر هنا هو بداية انتشار المقابلة الكيفيّة في أوروبا. ففي فرنسا على سبيل المثال، تم نشر العديد من المقالات والكتب حول موضوع المقابلة الكيفيّة التي تحتوي في مضمونها تبريراً لاستخدام هذا النوع من المقابلات في جمع البيانات من الميدان، وكذلك الإجراءات الواجب اتباعها من أجل ضبط عملية جمع البيانات وتحقيق مصداقية للمقابلة الكيفيّة كأداة لجمع البيانات.

تميزت هذه الفترة بمحاولة تذليل الصعوبات التي واجهت الباحثين الاجتماعين في اعتماد وتبني المقابلة كأداة موائمة للبحث الاجتماعي، وخاصة أنه تم توجيه نقد للمقابلة الكيفيّة في البحوث الاجتماعيّة بأنها دخيلة على هذا العلم وبأنها مستوحاة ومستقدمه من علم النفس. لذلك تركز الإنتاج الفكري في هذه المرحلة على الإجابة عن سؤالين أساسيين هما: كيفية موائمة المقابلة وتبنيها في الأبحاث الاجتماعيّة؟ وكيفية تطبيق آلياتها وإجراءاتها في علم الاجتماع وإبعادها عن المجال العلاجي النفسي المنسوبة إليه تاريخياً.

مع بداية السبعينيات بدأ الجدل يأخذ شكلاً جديداً ويبتعد عن الوضعية التي كانت مسيطرة على المشهد العلمي في الفترات السابقة. بدأ هذا التغير في النقد المقدم من سيكورل Cicourel عام 1964، الذي تمحور حول فكرة القياس والتكميم في علم الاجتماع والمشكلات التي تواجه الباحثين في عملية تحويل الإجابات النصية إلى أرقام وتطبيق العمليات الإحصائية عليها، متناولاً في ذلك المقابلة المقننة والمقابلة الكيفيّة على حد سواء. وفق سيكورل يلجأ الباحث إلى المقابلة المقننة بسبب ضعف المعلومات لديه حول الموضوع وعدم قدرته على السيطرة على ميدان البحث. أما فيما يتعلق بالمقابلة الكيفيّة يرى أنه في أغلب الأبحاث لا يمكن التميز فيما إذا الباحث قدا لجأ إلى المقابلة الكيفيّة أم إلى الملاحظة المباشرة، وذلك لإغفال الباحث عرض وشرح الصعوبات التي واجهته في الميدان أثناء جمع البيانات. إن

الركون الدائم إلى الاستمارة وفق سيكرول يؤدي إلى تجاهل التفاعل الحاصل بين الباحث والمبحوث في سياق الحصول على البيانات. شكلت تلك الانتقادات رؤية جديدة للباحثين والمهتمين بالمقابلة الكيفيّة في الفترات اللاحقة، وغيرت النقاش باتجاه الكيفيّة التي يتم فيها إنتاج المقابلة. بمعنى أدق بالسياق وبالتبادلات الحاصلة بين الباحث والمبحوث لإنتاج حوار أو محادثة علمية (Smith; Atkinson,2016). [2]

سلطت العديد من الأبحاث في هذه الفترة الضوء على المقابلات البحثية كأحداث كلامية " speech events " كما يُسميها ميشلير (Michler, 1986)، في حين رأى غرافينكل Grafinkel 1967 تشابه بين المقابلات البحثية والأحاديث اليومية، فيضرب مثلاً على ذلك، بأن حديث بين زوج وزوجة هو عبارة عن حديث عادي وغالباً لن يفهمه إلا من يتشارك الموقف الاجتماعي معهم، ولكن بقليل من التحليل يمكننا أن نستخلص شيء يشبه المقابلة. في حين يرى سيلفيرمان Silverman 1973 إنه يوجد اختلاف تام بين الاثنين، إذ في حالة المقابلة يكون هناك شبه اتفاق ضمني بين الباحث والمبحوث حول كيفية إجراء المقابلة. وفقاً له ترتبط وتتعلق المقابلة نوعاً ما بما يقدمه المتحاوران اللذين يشكلا طرفا المقابلة. (Poupart, 1993).

التغيير الأهم الذي شهدته هذه الفترة هو دخول المقابلة الكيفيّة علم الاجتماع في أوروبا، وبشكل خاص علم الاجتماع الفرنسي مع بورديو مع كتابه "حرفة عالم الاجتماع" (Bourdieu, 1968). لفت بورديو في كتابه هذا إلى العلاقة القائمة بين الباحث والمبحوث، والتركيز على تفاصيل المبحوث، إلا أن كتاب " بؤس العالم" شكل ثورة حقيقة لما جاء به بورديو في حرفة عالم الاجتماع، أدخل بورديو وفريق بحثه ممارسات جديدة في إجراء المقابلة والمتعلقة بشكل رئيسي بعلاقة الباحث والمبحوث، إذ عمد إلى اختيار المبحوثين من ضمن المجال الاجتماعي للباحث. هدف بورديو من هذا إلى أن تثمن العلاقة بين الباحث والمبحوث بذاتها. (Bourdieu, Passron. 1993).

انبثق عن أعمال بورديو وفريق بحثه نوع جديد من المقابلات الكيفيّة ألا وهي المقابلات الشخصية المعمقة (l'entretien bibliographique) وسير أو قصص الحياة (l'histoire de vie). لتترسخ بذلك المقابلات الكيفية في علم الاجتماع كأحد أهم أدوات جمع البيانات من الميدان.

الخاتمة:

نجد فيما تقدم، كيف أنّ الجدل الذي طال المقابلة البحثية وعلى وجه الخصوص المقابلة الكيفية، قد تغيير بشكل ملحوظ وواضح في الربع الأخير من القرن الفائت، لأسباب لها صلة بالمنظورات النظرية أكثر منها صلة بتطوير تقنيات وأدوات جمع البيانات. ففي بدايته كان هنالك حالة من التشويه حول صلاحية المقابلة وطابعها العلمي، في نهاية الستينيات كان يُعتقد بأنّ الممارسات المهنية المتعلقة بالتخلي عن جميع أشكال التحيز سيشكل ضامن لصلاحية وجدوى المقابلة الكيفية كأداة لجمع البيانات في البحث الاجتماعي. في الواقع، لا يمكن اختصار المقابلة الكيفية إلى مجرد ممارسات مهنية أكاديمية يجب على الباحث أن يتقنها ويطبقها، بل يجب النظر إليها على أنّها عمل ميداني متكامل وطويل قائم على التفاعل الاجتماعي بين الباحث والمبحوث. يمكننا أن نقول في نهاية المطاف بأنّ المقابلة الكيفية بمختلف أنواعها هي عبارة عن فن تختلط وتتشابك فيه الممارسات الأكاديمية والمنهجية مع مهارات الباحث الشخصية في إدارة وإجراء المقابلة من مبحوث إلى آخر، أخذاً بعين الاعتبار التفسيرات والتفسيرات المضادة التي يمكن أن يتبنها المبحوث والتي يمكن لا بل من الأكيد أنها تختلف من مبحوث لآخر. هذه الجزئيات والتفاصيل المختلفة بين

[2] انظر أيضاً Corcuff,P. 2008

المبحوثين، تؤكد على أنّه المقابلة الكيفية لا يمكن اختزالها إلى إجراءات أكاديمية روتينية، وبأنّه يتوجب على الباحث الاجتماعي إجراء المقابلات آخذاً بعين الاعتبار الخصائص الاجتماعية للمبحوثين وكذلك العلاقة التي تربط المبحوثين بالأسئلة وموضوع المقابلة.

Reference

1- بالإنكليزية

- BECKER, H. S. *Sociological work, method and substance*. Aldine, Chicago, 1970.
- BLANCHET, G; BLANCHET, A. Interactional effect of the environment on interviews, European journal of psychology of education, IX, pp. 41-53.
- MISHLER, E. G. *Research interviewing context and narrative*. Harvard University press, Mass, Cambridge, 1986.
- Smith,R.J. ;Atkinson,P. Methode and measurement in sociology :fifity years on, international journal of social reseach méthofology, vol 19,2016 ;pp

2- بالفرنسية

- Beaud, S. *L'usage de l'entretien en sciences sociales. Plaidoyer pour l'entretien 'ethnographique'*, Politix, N° 35, p. 56-74.
- BLANCHET A, et all. L'entretien dans les sciences sociales : l'écoute la parole et les sens. Dunod, Paris, 1985.
- BLANCHET, A ; GOTMAN, A. *L'enquête et ses méthodes : l'entretien*. Nathan, paris, 1992.
- BOURDIEU, P. *Le métier de sociologie*. Mouton, Paris, 1968.
- BOURDIEU, P. *Le misère du monde*. Le seuil, Paris, 1993.
- CABIN, P. *L'essor de la sociologie interactionniste*, la sociologie, 2009, pp.76-78.
- COENEN-HUTHER, J. A l'écoute des humbles, entretien en milieu populaire. L'Harmattan, Paris, 2001.
- COHEN,D. *L'art d'interviewer les dirigeants*, Paris, Presses universitaires de France ; 1999.
- Demazière D ; Dubar C. *Analyser les entretiens biographiques. L'exemple des récits d'insertion*. Laval, Presses de l'Université Laval, 2004.
- DEMAZIERE, D. *A qui peut-on se faire ? les sociologues et la parole des interviewés*, Langage et Société, N° 121-122, 2007, pp. 85-100.
- DEMAZIERE, D. *L'entretien biographique comme interaction négociations, contre interprétations, ajustements de Sens*, Langage et société, N° 123, 2008, p.15-35.
- DEMAZIERE, D. *L'entretien de recherché et ses conditions de réalisation Variété des sujets enquêtés et des objets de l'enquête- Sur le journalisme* - About journalisme, Vol. 1, N°1, 2012, pp.30-39.
- DEMAZIERE, D. : *l'entretien biographique comme interaction négociations, contre interprétations, ajustements de Sens*, Langage et société, N° 123, 2008, pp.15-35.
- DUBAR, C. *L'entretien non directif comme système d'action pour une analyse dynamique des trajets identitaires*, Les cahiers de philosophie, N°19, pp.185-206.
- Goffman, E. (2002). *L'arrangement des sexes* (2e éd.). Paris: La Dispute. Grafmeyer, Y., & Joseph, I. (1990). *L'école de Chicago. Naissance de l'écologie urbaine*. Paris: L'Harmattan.

- Guillemette, F. (2008). L’ entretien de recherche. Recherches qualitatives (Collection Bibliographies). Trois-Rivieres, Quebec : Association pour la recherche qualitative.
- HAAS, H. MASSON, E. *la relation à l'autre comme condition à l'entretien*, Presses universitaires de Liège, Les Cahiers Internationaux de Psychologie-Sociale, Vol.3, N° 71, 2006, pp.77 - 88.
- HERTIN, P.J. *Les approches qualitatives : les formes de l’entretien en sciences sociales*, dans X. Marc & J-F. Tchernia (dir) Etudier l’opinion, Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble,2007, pp 77-90.
- MOSCOVICI, S. *La psychanalyse, son image et son public. Etude sur la représentation sociale de la psychanalyse*. PUF, Paris, 1961.
- MUCCHIELLI, R. *L’entretien face à face dans la relation d’aide : connaissance du problème applications pratiques à l’analyse de psychologue,* Librairies Techniques, édition ESF, Paris,1972.
- PIERRET, J. *Place et usage de l’entretien en profondeur en sociologie,* ERES, 2004- pp.199-213.
- PINCON, M ; PINCON-CHARLOT, M. Pratiques d’enquête dans l’aristocratie et la grande bourgeoisie : distance sociale et conditions spécifiques de l’entretien semi-directif, Gènesse, N° 3, pp.120-133.
- POUPART. J. *Discours et débats autour de la scientificité des entretiens de recherche,* Sociologie et sociétés, 25 (2), 93–110.